

نمطية التراكيب اللغوية في بناء الخطاب الشعري القديم معلقة امرئ القيس أنموذجا

د. بوزيد مومني

لقد حددت اللسانيات المعاصرة جغرافية الخطاب عند حدود الجملة ، حيث حظيت بالاهتمام والدرس بوصفها وحدة تتوافر على شرط النظام. وهي غير قابلة للتجزئة، وإذا أمعنا النظر في ماهية الخطاب على أنه ملفوظ يشكل وحدة جوهرية خاضعة للتأمل، ألفينا الخطاب إن هو إلا تسلسل من الجمل المتتابعة التي تصوغ ماهيته في النهاية .

وهنا يظهر مآزق اللسانيات أو محدوديتها في معالجة إشكالية الخطاب لأنها تحصره في نطاق الجملة التي نظر إليها أندريه مارتيني André Martinet على أنها أصغر مقطع ممثل بصورة كلية وتامة للخطاب. غير أن هذا لا يعني عجز الدراسات اللسانية عن معالجة قضايا أكبر من الجملة. وهناك تباين في تحديد بنية الظاهرة اللغوية، فعلماء اللغة يحددون الكلمة بأنها وحدة في جملة تحدد معالم كل منها بإمكانية الوقوف عندها، ويرون الجملة تتابعا من الكلمات والمرقمات التنغيمية وهكذا تتداخل الكلمة والجملة في مفهوم متلاحم.

إن هذا المعطى التصوري للجملة لا يقلل من قيمة اقتراحها من مفهوم الخطاب، فإذا كانت عناصر مثل الكلمة والصوت والنغم تشكل إطار الجملة، وتعمل على بناء المعنى، فهذا لا يعوق دراسة الخطاب من وجهة نظر لسانية.

إن الجملة هي أصغر وحدة من الكلام تدل على معنى مستقل بنفسه، أو هي مجموعة من الألفاظ مرتبة ومنظمة على وجه معين يسمح بتشكيلها في سياق مترابط وبناء متماسك. «فالكلام يخضع لتنظيمات معينة، فله تنظيمه الفونولوجي الذي يوزع الأصوات بشكل لا يتعارض فيه صوت مع صوت. وله تنظيمه النحوي الذي يدخل الاسم خاصة في باب من الأبواب الوظائف اللغوية، وله تنظيمه الجملي الذي يجعل من المفردات سياقاً متماسكاً» ١ .

التركيب والترتيب شرطان أساسيان لأن: «... الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب فلو أنك عمدت إلى بيت شعر، وفصل نثر، فعددت كلماته عداً كيف جاء واتَّفَق، وأبطلت نظمه ونظامه الذي عليه بني، وفيه أفرغ المعنى وأجرى، وبغير ترتيبه الذي بخصوصه أفاد كما أفاد، وبنسقه المخصوص أبان المراد نحو أن تقول في: «قفا نكب من ذكرى حبيب ومنزل» منزل قفا ذكرى من نكب حبيب «أخرجته من كمال البيان إلى مجال الهديان...» ٢

وعند النحويين هي ما اصطالحوا عليه بجملة الفعل والفاعل، أو الفعل ونائبه، أو المبتدأ والخبر وما تفرَّع عنهما×× أو أداة الشرط مع جملتيه. ويأتي هذا تأييداً لتعريف البلاغيين أنها تكون خبرية أو إنشائية ، ولها ركنان مسند وهو مخبر به ، ومسند إليه المخبر عنه. وتوافر الإسناد عند البلاغيين يعني عند النحويين إفادة المعنى المستقبل بالفهم، وهذه الإفادة يحسن السكوت عليها لأنها تامة. وعند المناطقة هي موضوع ومحمول، شيء أو شخص ينسب إليه أمر من الأمور ٣ وهي ثلاثة أنواع: فعلية - اسمية - شرطية

كما قسّم النحاة «الجملة» من حيث أفرادها وتعقدتها إلى الجملة الصغرى والكبرى، وقسمها البعض إلى نوعين من التركيب :

أ- تركيب بسيط : « وهو تلك الجملة الفعلية أو الاسمية التي تتكون من عملية إسناد واحدة أي من ركنين أساسيين هما المسند إليه (أو ما يسمى بالموضوع عند أهل المنطق أي المبتدأ، أو الفاعل) و المسند أو المحمول»؛

ب- تركيب مركّب: « ما تكوّن من تركيبين مستقلّين، لا يعتمد أي واحد منهما على الآخر. وقد يتمّ الربط بين التركيبين بأداة من أدوات العطف أو الاستدراك، وقد يكتفي بالربط السياقي»^٥
وتتقسم الجملة في الدرس العربي، حسب ما تبدأ به، «فقيل: الاسمىة والفعلىة والظرفىة، ونظرا أيضا إلى طبعىة المسند إليه، فقيل: جملة كبرى وجملة صغرى، وإلى الوظيفة النحوىة، فقيل: الجملة التى لها محل من الإعراب، والجملة التى لا محل لها من الإعراب، وقد خالفهم المحدثون في العديد من جوانب هذا التقسيم»^٦
ولعل ما يجمع تعاريفهم القول بأنها «أقل قدر من الكلام يتحقق بعده الإبلاغ»^٧
الوظيفة: هي الدور الذي تقوم به الكلمة، أو الموقع الذي تحتله وسط تركيب معين. في النحو التوليدي، الوظيفة هي العلاقة النحوىة التى تتبادلها العناصر البنوىة فيما بينها وسط هذه البنىة.
EN grammaire générative. la fonction est la relation grammatical que les éléments d'une structure
(les catégories) entretiennent entre eux dans cette structure
لقد اقتصر هذا البحث على الجملة الخبرية، المفعول به، النعتية، الحالية دون غيرها لأهميتها الأسلوبية في النصّ، وتوزعت هذه الجمل توزيعا دلاليًا حسب خصائص كل نوع.

أ- الجملة الخبرية :

« وهي كل جملة سواء أكانت فعلية أم اسمية ، وجاءت بعد المبتدأ وخبرت عنه ، أو بعد الأحرف المشبهة بالفعل واسمها ، ومحلها الرفع ، أو بعد الأفعال الناقصة واسمها ومحلها النصب »^٩ أو هي الجمل التي تعرب خبرا . وقد وردت في النصّ ثلاث وعشرين (٢٢) مرّة موزعة على شكل أنماط وصور:

النمط الأول: الخبر جملة ماضوية

وفي هذا النمط نوعان من الجمل: نوع مرتبط بنواسخ، وآخر غير مرتبط

١- النوع غير المرتبط بالنواسخ: وورد أربع (٤) مرّات في صورة واحدة (فعل ماضٍ مثبت) وذلك في قوله:

وَبَيْضَةَ خَدْرِ لَا يَرَامُ خِيَاؤَهَا	تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوِهَا غَيْرَ مَعْجَلٍ
أَلَا رَبِّ خَصَمٍ فِيكَ أَلْوَى رَدَدْتَهُ	نَصِيحٍ عَلَى تَعْدَالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلٍ
وَقَرِيَّةٍ أَقْوَامٍ جَعَلَتْ عَصَامَهَا	عَلَى كَاهِلِ مَنِي ذُلُولِ مَرْحَلٍ
وَوَادٍ كَجَوْفِ الْغَيْرِ قَطَعْتَهُ	بِهِ الذَّنْبُ يَعْوِي كَالْخَلِيعِ الْمَعِيَلِ

الجمل الخبرية في هذه الأمثلة: «تمتعت من لهو بها» و«رددته» و«جعلت عصامها» و«قطعت» وهي جمل حوت أفعالا متعدية، فاعلها ضمير المتكلم والذي يعود على الناص، إذ جئنا بأخبار لأفعال لا يستطيع غيره فعلها، فهو من تمتع ببياضة خدر، وردّ الخصم النصيح، وهو من يخدم الرفقاء في السفر، وهو من قطع الوادي الخالي من النبات والإنس.

٢- النوع المرتبط بالنواسخ: وقد وُظف ثلاث (٣) مرّات، وله صورتان

الصورة الأولى: الخبر جملة ماضوية مؤكدة

أَفَاطِمٌ مَهَلًا بَعْضُ هَذَا التَّدَلُّلِ	وَأِنْ كُنْتُ قَدْ أَرْمَعْتُ صَرْمِي فَاجْجَمِي
وَأِنْ تَكِ قَدْ سَاءَتْكِ مَنِي خَلِيقَةٌ	فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسُلِ

الجملتان الخبريتان «قد أرمعت صرمي» و«قد ساءت منك مني خليفة» جاءتا على الشكل التالي:

أداة توكيد، «قد» + فعل ماضٍ (متعدّ) فاعله ضمير المخاطبة - في الأولى - يعود على (فاطمة)، وضمير الغيبة يعود على (خليقة) في الثانية + متممات، وقد دلّنا على معنيين مختلفين، كونهما أخباراً للناسخ (كنت، تك) و عبارتي شرط للجملتين الشرطيتين.

الصورة الثانية: الخبر جملة ماضوية مثبتة
كَانَ مَكَائِي الْجَوَاءِ غُدِيَّةً صُبْحَنُ سَلَاْفًا مِنْ رَحِيْقٍ مُفْلَضٍ

جملة « صُبْحَنُ سَلَاْفًا مِنْ رَحِيْقٍ مُفْلَضٍ » خبر للناسخ، «كَانَ» وجاءت كما يلي:

فعل ماضٍ وفاعله ضمير الجمع المؤنث يعود على (مكاكي) + متممات، ومضمونه مرتبط بحدث الفعل نفسه وهو الشرب وقت الصبح، وجاءت المتممات لتوضيح الحالة التي صار عليها هذا الضرب من الطير بعد أن شرب هذا النوع من الخمر صباحاً، وإنما جعلها كذلك لحدّة أسنتها وتتابع أصواتها ونشاطها في تغريدها، ١٠.

النمط الثاني: الخبر جملة مضارعية

وفي هذا النمط نوعان من الجمل أيضاً: نوع مرتبط بنواسخ، وآخر غير مرتبط.

١. النوع غير المرتبط بالنواسخ: وله صورتان:

الصورة الأولى: الخبر جملة مضارعية مثبتة، وذلك في قوله:

كَلَانَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئًا أَفَاتَهُ وَمَنْ يَحْتَرِثُ حَرْثِي وَحَرْثَكَ يَهْزِلُ

فجملة «يحترث حرثي وحرثك» خبرية لاسم الشرط (من) كون الفعل متعدّ واستوفى مفعوله، وفاعله ضمير الغيبة يعود على (من) الدال على العاقل، وقد خصص حرثه وحرث الذئب في عبارة الشرط للاستمرار والتجدد في التشاؤم واليأس.

الصورة الثانية: الخبر جملة مضارعية منفية، وذلك في قوله:

وَتَيْمَاءٌ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جَذْعَ نَخْلَةٍ وَلَا أَطْمَأْ إِلَّا مَشِيداً بَجْنَدِلٍ

فالجملية الخبرية «لم يترك بها جذع نخلة» وجاءت على الشكل التالي: أداة نفي (لم) + فعل مضارع (متعدّ) فاعله ضمير الغيبة يعود على (السيل)، + جار ومجرور + مفعول به (مؤخر) دلالة على قوة السيل الجارف.

٢. النوع المرتبط بالنواسخ: وله صورة واحدة (جملة مضارعية مثبتة) وذلك في قوله:

فَظَلَّ الْعِدَارَى يَرْتَمِينَ بِلِحْمِهَا وَشَحْمَ كَهْدَابِ الدَّمَقْسِ الْمُفْتَلِّ
فَأَضْحَى يَسُخُّ الْمَاءَ حَوْلَ كَتِيفَةٍ يَكْبُ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوْحَ الْكَنْهَبِلِ

الجملتان «يرتمين بلحمها» و«يسخ الماء» خبريتان للناسخين (ظل) و(أضحى)، وجاءتا تجسيدا للحوادث ونقلها نقلاً مركزاً، وفعالهما (يرتمين)، (يسخ) قد دلّا على الحركة والاستمرار والمزاولة.

النمط الثالث: الخبر شبه جملة

وفيه نوعان من الجمل: نوع مرتبط بنواسخ، وآخر غير مرتبط.

١. النوع غير المرتبط بالنواسخ: وقد ورد خمس (٥) مرّات وذلك في قوله:

وَقُوْفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيْهُمُ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجْمَلُ
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ وَلَا سِيْمًا يَوْمَ بَدَارَةِ جُلْجُلِ

إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ
لَهُ أَيُّطَلَا ظَبْيِي وَسَاقًا نَعَامَةً
وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ
بَشَقٍّ وَتَحْتِي شَقُّهَا لَمْ يُحَوَّلْ
وَارْحَاءُ سَرْحَانٍ وَتَقْرِيْبٌ تَنْقُلْ
بِهِ الذَّنْبُ يَعْوِي كَالخَلِيْعِ الْمُعِيلِ

أشبهه الجمل (علي)، (لك)، (تحتي)، (له)، (به) هي جمل خبرية تتألف من جار ومجرور أو من ظرف مكان مع مضاف إليه، وكل ضمير يعود حسب المخطط التالي:

علي النَّاصُ لك الصَّاحِب تحتي النَّاصُ
له الفرس به الوادي



١. النوع غير المرتبط بالناسخ: وقصوره (٤) مرات وذلك في قوله:

فَظَلَّ طَهَاءُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مَنْضُجٍ صَفِيْفٌ شَوَاءٌ أَوْ قَدِيرٌ مُعْجَلٌ
فِيَا تَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ وَلِجَامُهُ وَبَاتَ بَعِيْنِي قَانِمًا غَيْرَ مُرْسَلٍ
كَأَنَّ عَلَى الْمَتْنَيْنِ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى مَدَاكُ عُرُوسٍ أَوْ صِلَابِيَّةٍ حَنْظَلٍ
وَتُضْحِي فَتِيْتُ الْمَسْكَ فَوْقَ فِرَاشِهَا نُوُومُ الضَّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلٍ

وجاءت هذه الأخبار لتعطي دلالات أخرى كوفرة اللحم في (من بين منضج) وتأهبه الدائم للسفر في (عليه) وانملاص ظهر الفرس واكتنازه باللحم في (على المتنين) ووصف صاحبه بالدعة والنعمة.

النمط الرابع: الخبر جملة شرطية

وفيه نوعان من الجمل أيضا: نوع مرتبط بناسخ، وآخر غير مرتبط.

١. النوع غير المرتبط بالناسخ: وقد ورد مرة واحدة وذلك في قوله:

كَلَانَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئًا أَفَاتَهُ وَمَنْ يَحْتَرْتُ حَرْتِي وَحَرْتُكَ يَهْزَلُ

فالجمله الخبرية «إذا ما نال شيئا أفاته» وقد جاءت على الشكل التالي:

أداة الشرط (إذا) + ما الزائدة + فعل ماض (فعل الشرط) فاعله ضمير الغيبة يعود على (كلانا) + مفعول به + فعل ماض (فعل جواب الشرط) وفاعله ضمير الغيبة يعود - أيضا - على (كلانا) - الناص والذئب - ضمير الغائب يعود على المفعول به الأول (شيئا).

٢. النوع المرتبط بالناسخ: وقد ورد مرة واحدة وذلك في قوله:

أَعْرَكَ مَنِيَّ أَنْ حُبِّكَ قَاتَلِي وَأَنْكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ

الجمله الخبرية جاءت على الشكل التالي:

أداة الشرط (مهما) + فعل مضارع (فعل الشرط) + ضمير الفاعل والعاثد على (فاطمة) + مفعول به + فعل مضارع (فعل الجواب) فاعله ضمير الغيبة والعاثد على (القلب).

وهذا الجدول يوضح أنواعها وعددها:

المجموع	السَّيْلُ	الصَّيْدُ وَالْفَرَسُ	اللَّيْلُ	الغَزَلُ	الطَّلُّ	جملة ماضوية
٧	١	٠	٢	٤	٠	

٥	٢	٠	١	١	٠	جملة مضارعية
٨	٠	٤	١	٢	١	شبه جملة
٢	٠	٠	١	١	٠	جملة شرطية
٢٢	٤	٤	٥	٨	١	المجموع

إنّ الجمل الخبرية في النَّصّ جاءت متنوّعة مبنى ومعنى، وكانت السمة الغالبة هي الإخبار بالأفعال نظراً للمواقف الزمنية التي تتطلب السرعة في إيصال الأخبار والحركية في الوصف، وقد وردت مرّة واحدة في (الطلال) لعدم حاجة النَّاصِّ إليها .

ب- جملة المفعول به : وهي كل جملة سواء أكانت فعلية أم اسمية وجاءت بعد فعل القول أو أشباه فعل القول (صاح ، صرخ ، نادى ..) شريطة أن تكون هي التي قيلت .

وتسمى أيضاً « جملة محكية بالقول واقعة مفعولاً، ومحلها نصب نحو قال : إني عبد الله ، أو واقعة تالية للمفعول الأول في باب «ظن» ، فمحلها نصب ،نحو: ظننت زيدا يقرأ ، أو واقعة تالية للمفعول الثاني في باب « أعلم » فمحلها نصب ،نحو: أعلمت زيدا عمراً أبوه قائم ١١»

وقد وردت في المعلقة سبع (٠٧) مرات وراء الفعل « قال » وهذا باعتبار الجمل الأخرى بعد حروف العطف معطوفة، وإذا اعتبرناها مستقلة فهي خمسة عشرة (١٥) ،وقد جاءت على ثلاثة أنماط:

النَّمط الأوّل: المفعول به جملة اسمية

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخَدْرَ خَدْرٌ عَنِيْرَةٌ
فَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي
فَقَالَتْ : يَمِينُ اللَّهِ مَا لَكَ حِيلَةٌ
وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الْغَوَايَةَ تَنْجَلِي
فَقُلْتُ لَهُ مَا عَوَى : إِنْ شَأْنُنَا
قَلِيلُ الْغَنَى إِنْ كُنْتُ مَا تَمَوَّلُ

جملة (لك الويلات إنك مرجلي) منسوبة إلى الفعل (قلت) وتتألف من خبر مقدّم + مبتدأ مؤخر + جملة اسمية منسوخة. فالجملتان اسميتان لتأكيد ما ناله منها بعد أن عقر بغيرها وصيرها راجلة.

وجملة (يمين الله مالك حيلة) منسوبة إلى الفعل (قالت) وهي مؤلفة من عبارة قسم + ما النافية + خبر مؤخر + مبتدأ مقدّم، وهذا التقديم والتأخير لتأكيد صدها له في بداية الأمر، إذ لا توجد له حجة في زيارتها وطروقتها ليلاً.

أما جملة (إن شأنا قليل الغنى) منسوبة إلى الفعل (قلت) وقد تصدّرها ناسخ + اسمها مع مضاف إليه يدلّ على الذئب والنَّاصِّ + خبرها + مضاف إليه، وقد جاء بهذا الكمّ الهائل من الأسماء للتأكيد على حاله الذي يماثل حال الذئب في قلة الغنى.

النَّمط الثَّاني: المفعول به جملة فعلية وله صورتان:

الصُّورة الأولى: المفعول به جملة فعلية ماضوية وذلك في قوله:

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيْطُ بِنَا مَعَا
عَصْرَتْ بَعِيْرِي يَا أَمْرَأَ الْقَيْسِ فَأَنْزَلَ

فعل ماضٍ + تاء المخاطب يعود على النَّاصِّ + متممات، وجاءت هذه الجملة منسوبة للفعل (تقول) دلالة على الحركة والمزاولة، وقد صرّح بالنادي (امرئ القيس) لإبراز مدى انسجامهما وتعلقهما ببعضهما.

الصُّورة الثَّانية: المفعول به جملة فعلية أمرية وذلك في قوله:

وَقُوْفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيْهُمُ
يُقُوْلُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجْمَلُ

فَقُلْتُ لَهَا: سِيرِي وَأَرْخِي زَمَامَهُ وَلَا تُبْعِدِينِي مِنْ جَنَّاكِ الْمَعْلَلِ
فالجملّة الأولى (لا تَهلك أسي وتجمّل) منسوبة إلى (يقولون) وهي جملة نهي جاءت على الشّكل التّالي:
أداة نهي(لا) + فعل مضارع فاعله ضمير الغيبة يعود على النَّاصِ + مفعول له (أسي) + حرف عطف + فعل أمر فاعله
ضمير الغيبة يعود على النَّاصِ أيضاً، والغرض منها النهي عن الجزع.
أمّا الجملة التّانية، فهي منسوبة للفعل (قُلْتُ) وجاءت على الشّكل التّالي:
جملتان أمرتان معطوفتان (سيري وأرخي زمامه) + جملة نهي (لا تبعديني عن جنك المعلل) فدلالة الجمل في دلالة
أفعالها (الاستمرار في الزّمن والمزاولة) وقوله (جنك المعلل) دلالة على النّماء والخصب إذ شَبَّهها بالشجرة المثمرة.

النّمط التّالث: المفعول به جملة ندائيّة وذلك في قوله
فَقُلْتُ لَهُ مَا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأُرْدَفَ أُعْجَازًا وَنَاءً بِكَلْبِهِ
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَّا أَتَجَلَّى بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْتَلٍ
فجملة (ألا أيها الليل الطويل) حرف التّداء محذوف والمنادى (أي) والطّويل (بدل)، فقد خاطب ما لا يعقل وسأله
الانكشاف دلالة على فرط الوله وشدة التحير.

المجموع	السّيل	الصّيد والفرس	اللّيل	الغزل	الطلّ	
٤	٠	٠	١	٢	١	جملة فعلية
٢	٠	٠	٠	٢	٠	جملة اسمية
١	٠	٠	١	٠	٠	جملة ندائية
٧	٠	٠	٢	٤	١	المجموع

لقد جاءت جملة المفعول به متنوّعة بين فعلية واسميّة وندائيّة، وهي مقول القول للفعل (قال) في صيغته الماضوية
والمضارعية، وقد وردت بمجموع سبع (٧) مرّات دون احتساب الجمل المعطوفة عليها، وطغت الجملة الفعلية على المجموع
العام بأربع (٤) مرّات، وتهدف كلها إلى تبيين المقصود وتوضيح الدّلالة.

ج- الجملة النّعتية :

وتعرف أيضاً بجملة النعت وهي الجملة التي تأتي بعد اسم نكرة وتتبعه بالحركة، وقد وردت ستة عشر (١٦) مرّة
في النّص في شكل أربعة أنماط وهي:
النّمط الأوّل: النعت جملة فعلية وقد جاءت في صورتين:

الصورة الأولى: النعت جملة فعلية ماضوية وذلك في قوله:
فَمَثَلِكِ حَبْلِي قَدْ طَرَقَتْ وَمَرْضَعٍ فَالْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَانِمٍ مُحْوَلٍ
كَبِكرِ المِقَانَاةِ البِيضِ بِصُفْرَةٍ غَدَاها تَمِيرُ المَاءَ غَيْرِ المَحَلِّ
مَكْرٌ مَفْرٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَهُ السَّيْلُ مِنْ عِلٍ
بِضِيءٍ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحٍ رَاهِبٍ أَمَالِ السَّلِيْطِ بِالدَّبَائِلِ المِفْتَلِ

فالجمل (قد طرقت)، (حطه السيل من عل)، (غذاها نمير الماء)، (أمال السليط) هي جمل نعتية، جاءت لتأكيد الصفات في المشبه به (حبل)، (جلمود صخر)، (بكر المقناة)، (مصايح راهب) و لتسخ في المشبه وتلازمه (مشبهه + أداة التشبيه + المشبه به + جملة نعتية) .

الصورة الثانية: النعت جملة فعلية مضارعية وذلك في قوله:

وَبَيْضَةُ خَدْرٍ لَا يُرَامُ خَبَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوِهَا غَيْرَ مُعْجَلٍ
وَفَرَعٌ يَزِينُ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثِثُ كَفَنُو النَّخْلَةَ الْمُتَعَنِّكِلَ
كَمِيتٌ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفَوَاءُ بِالْمَتَنَزِلِ

الجمل النعتية (لا يُرَامُ خَبَاؤُهَا)، (يَزِينُ الْمَتْنَ)، (يَزِلُّ اللَّبْدُ) و صفت المنعوت بما يقتضيه الوصف، وهي عكس ما جاءت عليه في الصورة الأولى فأفرغت في المشبهات لتأكيدا وتوضيحا لتكون مماثلة للمشبهات بها (مشبهه + جملة نعتية + أداة التشبيه + المشبه به) كما هو موضح في الجدول:

أداة التشبيه	نوعه في التشبيه	المنعوت	نوعها	الجملة النعتية
...قد طرقت	اضوية	حبل	مشبه به	مثل
حطه السيل من عل	ماضوية	جلمود صخر	مشبه به	الكاف
غذاها نمير الماء	ماضوية	بكر المقناة	مشبه به	الكاف
أمال السليط	ماضوية	راهب	مشبه به	الكاف
لا يُرَامُ خَبَاؤُهَا	مضارعية	بيضة خدر	مشبهه	(لا توجد تشبيه بليغ)
يزل اللبد	مضارعية	الفرس	مشبهه	كما
يزين المتن	مضارعي	فرع	مشبهه	الكاف

النمط الثاني: النعت جملة اسمية وذلك في قوله:

وَتَعْطُو بِرُخْصٍ غَيْرِ شَتْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكٍ إِسْحَلِ
عَلَى الذَّبْلِ جِيَّاشٍ كَأَنَّ اهْتِرَامَهُ إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيَهُ غَلِيٍّ مَرَجَلِ
فَعِنَّا لَنَا سَرَبٌ كَأَنَّ نَعَاجَهُ عَدَارَى دَوَارٍ فِي مَلَاءٍ مُذْبِلِ
ضَلِيعٌ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدٌّ فَرَجَهُ بِضَافٍ فَوْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعَزَلِ
فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجُومَهُ بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صَمِّ جَنْدَلِ

فالجمل النعتية (كأنه أسارِعُ ظبْيٍ)، (كأنَّ اهْتِرَامَهُ إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيَهُ غَلِيٍّ مَرَجَلِ)، (كأنَّ نَعَاجَهُ عَدَارَى دَوَارٍ)، (لَيْسَ بِأَعَزَلِ)، (كأنَّ نَجُومَهُ بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صَمِّ جَنْدَلِ) جاءت اسمية منسوخة لإضفاء صفات مؤكدة في المنعوت، ورغم كونها اسمية إلا أنها أفادت الحركة لدلالة الكلمات عليها، (وتعطو برخص) (سرب)، (إذا استدبرته سد فرجه)، (النجوم) (جياش)، (جاش)، (غلي)، (اهترامه)....

أما الصفة هنا فقد وردت هي التشبيه في حد ذاته ومنه فالصفة = التشبيه بجميع أركانه.

النَّمط الثالث: النَّعْت شبه جملة وذلك في قوله:

فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعَجَةٍ دَرَاكَأَ وَكَمْ يَنْصَحُ بِمَاءٍ فَيَغْسِلُ
كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَائِينَ وَبِلَهٍ كَبِيرُ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ

الجملة: (بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعَجَةٍ) جاءت لتصف هذا العداء الذي لم يكن كعداء باقي الخيول الأخرى وإنما كان سريعاً جداً حيث والى هذا الفرس الأسطوري بين ثور ونعجة في طلق واحد، أما جملة (فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ) فجاءت لتحديد الصفة الموجودة في المشبه به (كبير أناس) لإزالة الغموض والإبهام.

النَّمط الرابع: النَّعْت جملة شرطية وذلك في قوله:

مَسَحَ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى أَثْرَنَ الْغُبَارَ بِالْكَدِيدِ الْمُرْكَلِ
ضَلِيعٌ إِذَا اسْتَدْبِرْتَهُ سَدٌّ فَرَجَهُ بَضَافٌ فَوَيْقُ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعَزَلِ

(إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى أَثْرَنَ الْغُبَارَ بِالْكَدِيدِ الْمُرْكَلِ) جاءت على الشكل التالي:

أداة شرط+ (الزائدة) +فاعل (فعله محذوف يفسره الفعل الذي يأتي بعده) + جار ومجرور+ فعل ماض (فاعله ضمير الغيبة يعود على السابحات) وهو فعل الشرط+متمات.

فهنالك حذف وتقديم وتأخير وشرط، لإلباس المنعوت صفة التفوق على أنداده (السابحات).

وجملة (إِذَا اسْتَدْبِرْتَهُ سَدٌّ فَرَجَهُ بَضَافٌ فَوَيْقُ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعَزَلِ) جاءت كمايلي: أداة شرط+عبارة الشرط(فعل ماض مع فاعله (ضمير المخاطب)+ضمير الغائب يعود على (الفرس) هو المفعول به)+عبارة الجواب(فعل ماض وفاعله ضمير الغيبة يعود على (الفرس)+مفعول به+مضاف إليه .

فجملة الشرط جاءت عادية متألفة الزمن في عبارتها، لتؤكد الصفة والموصوف معاً لما لهما من قرابة في الدلالة.

وهذا الجدول يوضح أنواع الجمل النعتية وعددها، وتواترها في الوحدات الدلالية للنص:

النسبة م	المجموع	جملة شرطية	شبه جملة	جملة اسمية	جملة فعلية	الطلب
٠%	٠	٠	٠	٠	٠	الطلب
٣١,٢٥%	٥	٠	٠	١	٤	الغزل
٦,٢٥%	١	٠	٠	١	٠	الليل
٥٠%	٨	٢	١	٣	٢	الصيّد والفرس
١٢,٥%	٢	٠	١	٠	١	السيل
١٠٠%	١٦	٢	٢	٥	٧	المجموع
	١٠٠%	١٢,٥%	١٢,٥%	٣١,٢٥%	٤٢,٧٥%	النسبة م

جاءت الجملة النعتية متنوعة بين فعلية واسمية وشبه جملة وشرطية وهذا لتنوع مقامات الوصف، وقد طغت عليها الجملة الفعلية لما فيها من حركة وتجدد واستمرارية خاصة في وحدة (الغزل) بأربع (٤) مرّات كما أنّ وحدة (الصيّد والفرس) لوحدها حوّت نصف العدد الإجمالي للجمال النعتية ثمان (٨) مرّات، بنسبة ٥٠% تليها وحدة (الغزل) بخمس (٥) مرّات بنسبة ٣١,٢٥%، لأنهما الوحدتان اللتان تحتاجان إلى هذا النوع من الأسلوب، عكس وحدة (الطلب) التي

خلت من الجمل النعتية تماما إذ تحتاج إلى النعوت المفردة المباشرة الخالية من الحركة والنشاط، لأن مجالها التذكّر والبكاء على الأطلال.

د- الجملة الحالية

أو هي التي تعرب في محل نصب حال، وهي كل جملة سواء أكانت فعلية أو اسمية وجاءت بعد اسم معرفة شريطة أن يتم بهذا الاسم المعرفة معنى كاملا ١٢» ولها شرطان: ١- أن تكون خبرية
٢- لا تكون مفتوحة بدليل الاستقبال، ك (لن وحرف التنفيس) « ١٣
وقد وردت في النص خمسة عشر (١٣) مرّة في شكل أنماط

النمط الأول: الجملة الحالية مركبة من واو الحال+جملة، وله صورتان

الصورة الأولى: واو الحال+جملة فعلية وذلك في قوله:

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيْطُ بِنَا مَعَا عَقَرْتَ بَعِيْرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَاَنْزِلِ

واو الحال+أداة توكيد (قد)+فعل ماضٍ+فاعل ظاهر+جار ومجرور+حال+جملة مقول القول
فهنا تأكيد على أنها قالت ما قالته في حالة إمالة الهودج وهما معًا.

الصورة الثانية: واو الحال+جملة اسمية في قوله:

وَقَدْ اُعْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بِمَنْجَرِدٍ قَيْدِ الْاَوْابِدِ هَيْكَلِ

فجملة (والطير في وكناتها) جاءت على الشكل التالي:

واو الحال +مبتدأ+شبه جملة (حرف جر+اسم مجرور+مضاف إليه)وهي إخبار بمباكرة الصيد .

النمط الثاني: الحال جملة فعلية وله صورتان

الصورة الأولى الحال جملة فعلية ماضوية وذلك في قوله:

اِذَا قَامَنَا تَضَوَّعَ الْمَسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمِ الصَّبَا جَاءَتْ بَرِيًّا الْقَرْنَفَلِ

دَرِيْرٍ كَخَذْرُوفِ الْوَلِيْدِ اَمْرُهُ تَتَابَعُ كَفْيِهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ

فجملة (جاءت بريًا القرنفل) حالية تتألف من: فعل ماضٍ فاعله ضمير الغيبة يعود على (نسيم الصبا) +جار ومجرور+مضاف إليه، وهي إبراز لحالة نسيم الصبا.

أما جملة (أمره تتابع كفيه) فجاءت على الشكل: فعل ماضٍ+ضمير المفعول به المقدم يعود على خذروف الوليد+فاعل مؤخر + مضاف إليه، وهذا التقديم والتأخير لإبراز حالة المشبه عن طريق المشبه به .

الصورة الثانية : الحال جملة مضارعية وفيها نوعان :

النوع الأول: جملة مضارعية مثبتة وذلك في قوله:

خَرَجْتُ بِهَا اَمْشِي تَجْرُ وِرَاءَنَا عَلَي اَثْرَيْنَا ذَيْلِ مَرْطٍ مُرْحَلِ

عَدَائِرُهُ مُسْتَشْرَزَاتٌ اِلَى الْعَلَا تَضِلُّ الْعَقَاصُ فِي مَنَى وَمُرْسَلِ

وَوَادِ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَضْرُ قَطْعَتُهُ بِهِ الدُّنْبُ يَعْوِي كَالْخَلِيْعِ الْمُعِيْلِ

فَاضْحَى يَسُحُّ الْمَاءَ حَوْلَ كَتِيْفَةٍ يَكْبُ عَلَى الْاَذْقَانِ دَوْحَ الْكَنْهَبِلِ

جملة (أَمْشِي) حَالِيَّةٌ قَصِيْرَةٌ تَتَأَنَّفُ مِنْ: فعل مضارع وفاعله ضمير الغيبة يعود على المتكلم (النَّاصِ).
وجملة (تَضِلُّ الْعَاقِصَ فِي مَثْنَى وَمُرْسَلٍ) = فعل مضارع فاعله ضمير الغيبة (صاحب الحال) + جار ومجرور.
وجملة (يَعْوِي كَالْحَلِيخِ الْمُعِيلِ) = فعل مضارع فاعله ضمير الغيبة يعود على صاحب الحال (الذئب) + جار ومجرور
+صفة.
أما جملة (يَكْبُ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوَّحَ الْكَنْهَبِلِ) = فعل مضارع فاعله ضمير الغيبة يعود على صاحب الحال (السَّيْلِ)
(+مفعول به+مضاف إليه).
فقد تنوعت هذه الجمل بين الطول والقصر حسب نفسية وحالة النَّاصِ.

النوع الثاني: جملة مضارعية منفية وذلك في قوله:

فَتُوضَعُ فَالْمُقْرَأَةُ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لَمَّا نَسَجْتَهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ
إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ بَشَقٌّ وَتَحْتِي شَقُّهَا لَمْ يَحُولِ
وَتَضْحِي فَتَيْتِ الْمَسْكُ فَوْقَ فِرَاشِهَا نُؤُومُ الضَّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ
فَالْجَمَلِ (لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا) ، (لَمْ يَحُولِ) ، (لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ) ، هي جمل حالية، مؤلَّفة من أداة نفي (لم) + فعل
مضارع فاعله ضمير الغيبة يعود على صاحب الحال باستثناء الجملة الأولى التي كان فاعلها بارزا (رسم) و(هاء
الغائبة) مفعول به تعود على صاحب الحال، وقد جاءت قصيرة - في أغلبها -
فأحدثت إشباعا وتمعنة داخلية كون «الجمل القصار أسهل للحفظ وأمتع للقراءة وألذ في السمع وأنفذ إلى القلب
والذوق» ١٤

وهذا الجدول يوضح أنواع الجملة الحالية وعددها ونسبة تواترها في كل وحدة دلالية

النسبة المئوية	واو الحال+جملة	جملة ماضوية	جملة مضارعية	المجموع	النسبة المئوية
الطلل	٠	١	١	٢	١٥,٢٨%
الغزل	١	٠	٥	٦	٤٦,١٥%
الليل	٠	٠	٢	٢	١٥,٢٨%
الصَّيْدِ وَالْفَرَسِ	١	١	٠	٢	١٥,٢٨%
السَّيْلِ	٠	٠	١	١	٧,٦٩%
المجموع	٢	٢	٩	١٣	١٠٠%
النسبة المئوية	١٥,٢٨%	١٥,٢٨%	٦٩,٢٤%	١٠٠%	

فالسمة الغالبة على الجملة الحالية ورودها فعلية، وقد جاءت في زمن المضارع بنسبة ٦٩,٢٤%، كما أنها وُظِّفَتْ فِي
وحدة (الغزل) بأكثر نسبة (٤٦,١٥%) دلالة على حاجة النَّاصِ والنَّصِّ لها ولارتباط الحال بصاحبه.
ومن هنا نخلص إلى أن الشعر هو اللغة في وظيفتها الجمالية - بحسب جاكسون - وأن موضوع علم الأدب ليس
الأدب وإنما الأدبية وهي التي تجعل من إنتاج ما إنتاجا أدبيا . فلا بد أن يكون لكل مستوى من مستويات اللغة دور ووظيفة
شعرية يدعم بها شعرية النص وجماليته ١٥.
النحو أحد مستويات اللغة إذ هو العلاقة التركيبية بين الألفاظ ولا جمال لنص جمعت ألفاظه دون ترتيب ومراعاة
العلاقات بين الألفاظ وما هذه العلاقات إلا معاني النحو بحسب الجرجاني .
في أي صياغة لممارسة لغوية لا بد من استحضار عمليتي الاختيار والتأليف وهي الثنائية التي تبه لها سويسر من

قبل ١٦ ، فالوظيفة الشعرية تعرض مبدأ التعادل للحدث ، فهي إسقاط محور الاختيار الاستبدالي على محور التأليف السياقي المعتمد على التجاور المكاني ١٧ .
وتلعب هذه الثنائية دورا مهما في اللغة الشعرية وما يميزها عن اللغة المعيارية ، ولما كان الشعر كلاما يتأسس على لغة تختلف عن اللغة المعيارية ، فصار لكل مستوى من مستويات اللغة وظيفة تصب في شعرية النص .

الإحالات

- ١ - ريمون طحان - الألسنية العربية - رقم ٢ دار الكتاب اللبناني - بيروت - ص ٤٦
- ٢ - عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ، تصحيح وتعليق ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٧٨ / ص ٢
- xxx - المتفرع عنهما - الفعل الناقص مع اسمه وخبره ، والحرف المشبه بالفعل مع اسمه وخبره
- ٣ - صالح بلعيد ، النحو الوظيفي ، (د م ج) بن عكنون الجزائر ١٩٩٤ / ص ١١
- ٤ - خيرة عون - خصائص التركيب اللغوي الفصيح ، رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير السنة الجامعية ٩٣/٩٤ قسنطينة ص ٣٦
- ٥ - المرجع نفسه نقلا عن : فاطمة الجامعي الحبالي - لغة أبي العلاء المعري في رسالة الغفران / ص ٤٢
- ٦ - مهدي المخزومي ، في النحو العربي ، نقد وتوجيه ، ص ٣٩ وما بعدها
- ٧ - Dubois J et autres Dictionnaire de linguistique (Grammaire structurale du Français) P٢٠ - ٨
- ٨ - Paris - Dubois J et autres - Dictionnaire de la linguistique. la rousse - Paris - ١٩٩١ page ٢١٦
- ٩ - أحمد الخوص ، قصة الإعراب ، ج ١ ، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر ، ص ٢٥٤
- ١٠ - الزوّني ، شرح المعلقات السبع ، ص ٣٤
- ١١ - مختار بوغناني ، نحو الجمل ، التعليقات الوافية على شرح الأبيات الثمانية للعلامة عبد العزيز محمد بن يوسف الهادي ، دار الفجر ، وهران ، يناير ١٩٩٥ ، ص ٥٦ - ٦٠
- ١٢ - أحمد الخوص - قصة الإعراب - مرجع سابق ص ٢٥٥
- ١٣ - مختار بوغناني - نحو الجمل ، مرجع سابق ص ٥٥
- ١٤ - عبد الملك مرتاض ، النصّ - من أين وإلى أين - ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ١٩٨٣ ، ص ٧٨
- ١٥ - جون كوهن ، اللغة العليا النظرية الشعرية ترجمة د. أحمد درويش ، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٥ م ص ٩
- ١٦ - فردينان دي سوسور ، علم اللغة العام ترجمة د. يوثيل يوسف ، مراجعة مالك المطلبي ، بيت الموصل ، ١٩٨٨ م . ص ١٦٣ .
- ١٧ - صلاح فضل ، النظرية البنائية في النقد الأدبي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ٢ ، ١٩٨٧ م ص ٣٨٩